الوظيفة ومرادفاتها في ضوء القرآن الكريم
أحكامها وأخلاقها
(دراسة موضوعية)

د.عصام بن عبدالمحسن الحميدان

- عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (أسباب النزول وأثرها في التفسير) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (آيات الأحكام في المغني لابن قدامة من أول سورة المائدة إلى آخرها . جمعا ودراسة).

المدخل

نزل القرآن الكريم ليبيّن للناس ما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل) فلم يكن الهدف من إنزال القرآن الكريم خاصاً بحياة المسلم الأخروية فحسب، وإنما عمارة الأرض أيضاً بمعرفة الله تعالى وذكره وعبادته، وهذا من كمال الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل)

ولو نظرنا في رسالات الأنبياء السابقين لوجدناها تتناول بعض جوانب حياة الإنسان، فجاءت الرسالة الخاتمة لتشمل حياة الإنسان كلها في العقل والروح والنفس، وفي العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وفي أوجه الأنشطة البشرية: السياسية والتربوية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية. فكان النبي ﷺ إمام المسلمين وحاكمهم وقاضيهم ومفتيهم ومربيهم وقائدهم الحربي وأخاهم المحب لهم والمتزوج من نسائهم ومزوجهم ومشاركهم في مناسباتهم. قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب) ولم تخصص الآية نوعاً من الأسوة، بل عممت التأسي بالنبيﷺ في جميع أموره.

ومما يحتاجه الناس في معاشهم الدنيوي العمل في المهن والوظائف والحرف من زراعة وتجارة وصناعة وغيرها، ليكتسبوا بها، فإن الله تعالى جعل قوام الحياة بالمال، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ (النساء ٥) والمال يكتسب بالوظائف والمهن، فالوظيفة وسيلة الاكتساب الأولى لعصب الحياة، وبهذا يتبين لنا أهمية الوظيفة في الإسلام، فالحفاظ على المال أحد ضرورات الإسلام الخمس التي جاء بحفظها [1]، ووسيلة هذه الضرورة

(١) بقية الضرورات: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل.

الوظيفة، والقاعدة الفقهية المشهورة: الوسائل لها أحكام المقاصد والغايات، تبيِّن أن الوظيفة تصبح ضرورة إذا كانت هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على المال.

من أجل ذلك كله اهتم القرآن الكريم بالحديث عن الوظيفة، وتناولها في آياتٍ كثيرة، فشرفت الوظيفة بذلك وشرف كل موظف بذكره في القرآن الكريم. فهل يليق بالمسلم أن يتغاضى عن هذا الموضوع وقد أخذ حظَّه من الاهتمام في كتاب الله؟ وهذا ما دعاني للكتابة عن الوظيفة في القرآن، إضافة إلى الدواعي التالية:

الأول: أن هذا الموضوع على أهميته لم يكتب فيه أحد، فقد كتب الباحثون عن أخلاقيات الوظيفة عموماً[١] ، وعن مفهوم العمل في القرآن[٢]، إلا أن الربط بين الاثنين لم يتعرض له أحد بكتابة متخصصة.

الثاني: أنه يسهم في تجلية معاني الآيات القرآنية التي تتحدث عن الوظيفة والعمل وما يتعلق بهما.

الثالث: أنه يبرز شمولية الطرح القرآني لما يفيد الناس في دينهم ودنياهم، ويبرز خطأ من يتصور أن القرآن الكريم كتابٌ روحيّ يتعلق بما وراء المادة فحسب.

الرابع: أنه يهم أكثر المسلمين في البلاد الإسلامية؛ لأن الوظيفة الحكومية أو الأهلية يشترك فيها عامة المسلمين، لذا فهم بحاجة إلى التعرف على الأحكام والآداب الخاصة بالوظيفة من منظور قرآني.

لذا استعنت بالله تعالى وعزمت الكتابة في هذا الموضوع المهم، وجعلت البحث في ثلاثة فصول وتفصيلها على النحو التالي:

المدخل: ويتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره

التمهيد: ويتضمن تاريخ الوظيفة وتعريفها ومرادفاتها

الفصل الأول : أقسام الوظائف في القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

---

(١) أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية- فهد بن سعود العثيمين، وأخلاقيات المهنة لمحمد المصري.

(٢) العمل في القرآن لمحمد نذير حمدان.

المبحث الأول: الوظائف الخاصة، والمشتركة، وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: التجارة

المطلب الثاني: الزراعة

المطلب الثالث: رعي الأنعام

المطلب الرابع: الحدادة

المطلب الخامس: النجارة

المبحث الثاني: الوظائف العامة

وهي التي يعمل فيها الإنسان في إدارة تابعة للدولة أو مؤسسة كبرى

الفصل الثاني: الأخلاق الوظيفية في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأخلاق الوظيفية المحمودة

المبحث الثاني : الأخلاق الوظيفية المذمومة

المبحث الثالث: وسائل التغلب على الممارسات السيئة في الوظيفة

الفصل الثالث: شروط الوظيفة في ضوء القرآن الكريم

الخاتمة: وتتضمن بعض المقترحات

ونسخت الآيات القرآنية من النسخة الالكترونية المعتمدة من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وجعلت أرقامها ختامها مباشرة وذيلتها باسم السورة فقط، عدا الشواهد المجتزأة من الآيات القرآنية الكريمة فجعلت أرقامها مع اسم السورة لئلا يظن ظان أن الرقم في ختام الآية، وخرجت الأحاديث مع بيان درجتها، وترجمت للأعلام.

أسأل الله تعالى أن ينفعني والمسلمين بهذا البحث، وأن يسدّ هذه الثغرة العلمية التي طالما بقيت مهملة، وأن يفتح بهذا البحث أبواباً جديدة لإخواني الباحثين والمهتمين، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

بدأت الوظيفة ببداية الإنسان حيث عمل آدم عليه السلام في الرعي، والزراعة، وعمل بقية الأنبياء بالرعي كما جاء في الحديث[1] ، وفي أيام نبي الله يوسف عليه السلام كانت الوظائف الحكومية معروفة حيث عمل وزيراً للخزانة، أو المالية، قال الله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (يوسف)

قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني[2]:" كان نوح عليه السلام نجاراً يأكل من كسبه،وإدريس عليه السلام كان خياطاً، وإبراهيم عليه السلام كان بزازاً، وداود عليه السلام كان يأكل من كسبه، وسليمان صلوات الله عليه كان يصنع المكاتل من الخوص فيأكل من ذلك، وزكريا عليه السلام كان نجاراً، وعيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه."[3]

ولا يخلو عصر من العصور إلا تتوفر فيه الوظائف بأنواعها، لحاجة الناس لها، فمن الناس من يعمل لحسابه، وهي الوظيفة الشخصية، أو الأهلية، وهو ما يعرف اليوم بالقطاع الخاص، ومن الناس من يعمل لحساب شخص آخر، وهي الإجارة، ومن الناس من يعمل في الدولة لخدمة الناس، وهو ما يعرف بالقطاع العام. وقد ذكر القرآن الكريم جملة من هذه الوظائف، كما سيرد في البحث.

ويحسن قبل البدء في البحث أن نسلط الضوء على الفروق بين الوظيفة ومرادفاتها:

---

(١) قال ﷺ(ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) رواه البخاري(٢/ ٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) محمد بن الحسن بن فرقد ، أبو عبدالله الشيباني الكوفي . العلامة فقيه العراق وصاحب الإمام أبي حنيفة ، تولى القضاء للرشيد بعد القاضي أبي يوسف . له " المبسوط" و" الجامع الكبير"و"الحجة على أهل المدينة"وغيرها. ولد بواسط سنة ١٣٢ هـ ، ونشأ بالكوفة ، وتوفي بالريّ سنة ١٨٩ هـ.(أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري : ١٢٠- ١٣٠، وسير أعلام النبلاء : ٩ / ١٣٤-١٣٦)

(٣) الكسب (٣٥، ٣٦)

* فالوظيفة: لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في زمن معيَّن، وتأتي بمعنى الخدمة المعيَّنة[1].

واصطلاحاً: وحدة من وحدات العمل تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر[2].

أو: كيان نظامي يتضمن مجموعة من الواجبات والمسؤوليات توجب على شاغلها التزامات معينة ، مقابل تمتعه بالحقوق والمزايا الوظيفية [3].

فالوظيفة تتميز بالعقد المحدد، والشروط الدقيقة، والمدة الطويلة، والحقوق الثابتة، والسلم الوظيفي.

* والمهنة: لغة: العمل عموماً، وتأتي بمعنى العمل الذي يحتاج إلى خبرة ومهارة[4].

واصطلاحاً: مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية [5].

فالمهنة أقل من الوظيفة في متطلباتها، حيث يمكن أن تكون عملاً خاصاً يتدرب عليه الإنسان ويؤديه لغيره دون عقد والتزامات وشروط ومدة طويلة عادة كالوظيفة، ومثال المهنة: أصحاب المهن ذوو الخبرة فيها كالنجارة والزراعة والجزارة وفنيي الكهرباء الذين يعملون لغيرهم، فهم أصحاب مهن، وهذه مهنتهم، ولكنهم ليسوا موظفين.

وقد يكون صاحب المهنة موظفاً بمهنته لدى مؤسسة أو شركة أو قطاع حكومي فيتمتع بما يتمتع به أصحاب الوظائف ويكون خاضعاً لقانون الوظائف بلا خلاف.

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ١٠٤٢)

(٢) معجم المصطلحات الإدارية/ د.محمد البرعي ود.محمد التويجري (صفحة ١٨٥ – فقرة : ٤٤٢) مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

(٣) أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية للعثيمين (٦٥) الوظيفة العامة وإدارة شؤون الموظفين لفوزي حبيش– نشر المنظمة العربية للعلوم الإدارية (٧)

(٤) المعجم الوسيط (٢ / ٨٩٠)

(٥) أخلاقيات المهنة لمحمد المصري(٤٩)

* والحرفة: لغةً: من الاحتراف، وهو الكسب[١].

واصطلاحاً: عمل يمارسه الإنسان يحتاج إلى تدريب قصير[٢].

فالحرفة تختلف عن المهنة في أن الأخيرة تحتاج إلى مهارة تدريبية أكثر من الحرفة التي يكفي لها التدريب القصير، ومثالها: حرفة البناء وقيادة السيارات ونحو ذلك.

* والعمل:لغةً: الوظيفة، والفعل عن قصد[٣].

واصطلاحاً: هو ما يقوم به الإنسان من نشاط إنتاجي في وظيفة أو مهنة أو حرفة[٤].

فالعمل يعم كل ما سبق، وقد يستعمل مصطلح العمل للدلالة على الوظيفة، كما تُسمَّى وزارات العمل في بعض الدُّوَل، وهم يعنون الوظائف، وهذا اصطلاح لغوي، ويؤكد ما ذكرته من تبادل التعبير بين المصطلحين أن بعض الباحثين عرف العمل بأنه: مجموعة محددة من الواجبات والمسؤوليات يلزم للقيام بها توافر اشتراطات معينة في شاغلها تتفق مع نوعها وأهميتها وتسمح بتحقيق الهدف من إيجادها[٥]. وهذا تعريف الوظيفة، ولا مشاحة في الاصطلاح، إلا أن الأصح اختصاص الوظيفة بالتعريف المتقدم لها، وأن العمل لفظ عام يشمل الوظيفة وغيرها.

وسأجمع في هذا البحث بين ذكر الوظيفة والمهنة في القرآن الكريم، ولن يختص البحث بذكر الوظيفة الاصطلاحية فحسب، أما اختيار عنوان البحث بـ: الوظيفة في القرآن الكريم فسببه وضوح مصطلح الوظيفة واشتهاره للعمل أكثر من غيره، فإن مصطلح المهنة قد يفهم منه المهن الصغيرة المحدودة، ومصطلح العمل عام جداً وقد يفهم منه العمل للآخرة لا للدنيا.

---

(١) المعجم الوسيط (١ / ١٦٧)

(٢) محمد المصري/ مرجع سابق (٥٠)

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ٦٢٨)

(٤) محمد المصري/ مرجع سابق (٥٠)

(٥) الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية للدكتور بكر قباني، ص٩١.

الفصل الأول
الوظائف في القرآن الكريم

تنقسم الوظائف في القرآن الكريم إلى قسمين:
القسم الأول: الوظائف الخاصة والمشتركة.
القسم الثاني: الوظائف العامة والحكومية.

المبحث الأول: الوظائف الخاصة والمشتركة، ويتضمن خمسة مطالب:

-والخاصة هي التي يعمل فيها الإنسان لحسابه الخاص، والمشتركة هي التي يعمل فيها الإنسان لحساب غيره-

المطلب الأول: التجارة:

مدخل:

عرفت التجارة قديماً، وذكرها القرآن الكريم، فقد كانت رسالة شعيب عليه السلام إلى قومه نُصحُهم بإيفاء الكيل والميزان بالقسط في تجارتهم، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ (هود)

وورد ذكر البيع والشراء في سورة يوسف في قوله عز وجل: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (يوسف) وهو تجارة العبيد، ووردت المقايضة في التجارة في السورة ذاتها، قال الله سبحانه: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (يوسف) قال ابن كثير رحمه الله[1]:" ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ﴾ أَيْ: غِلْمَانه

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، ولد سنة ٧٠٠هـ، وصنف مصنفات كثيرة متقنة ومحققة ، منها: البداية والنهاية، والتفسير، وجامع المسانيد والسنن، توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ.(طبقات المفسرين للداودي:١/ ١١١-١١٣، وابن كثير لمحمد الزحيلي)

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهِمْ﴾ أَيْ الَّتِي قَدِمُوا بِهَا لِيَمْتَارُوا عِوَضًا عَنْهَا ﴿فِي رِحَالهِمْ﴾ أَيْ فِي أَمْتِعَتهمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بِهَا." [(١)]

وفي قصة أهل الكهف دليل على التعامل بالنقد في قوله سبحانه: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩﴾ (الكهف)

وخصّ القرآن الكريم قريشاً بذكر تجارتهم، فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢﴾ (قريش)، وكانت رحلاتهم إلى الشمال والجنوب شاهدة على تجارتهم [(٢)]، ومن ذلك ما ذكّر القرآن الكريم به أهل مكة حين يرحلون إلى الشام بأن يتعظوا بحال قوم لوط الذين كانوا يمرون عليهم مصبحين وبالليل، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾ (الصافات)، ولذا يعدّ ذكر التجارة في القرآن الكريم مكياً في سور المزمّل، والقصص، والملك، والرحمن.

وكان أهل مكة أصحاب تجارة معروفون بذلك، كما أن أهل المدينة أصحاب حرث وزراعة، قالﷺ: (الميزان ميزان مكة، والمكيال مكيال المدينة)[(٣)]،وذلك أن أهل مكة يستعملون الميزان في تجارتهم، فهم أهل خبرة ودراية فيه، فجعلهم النبي ﷺ مرجعاً في الميزان، كما أن أهل المدينة أهل خبرة في الزراعة فيحتاجون للكيل، فجعلهم مرجعاً فيه.

وقال أبوهريرة رضي الله عنه :"إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم" [(٤)]

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٣)

(٢) قال ابن كثير:" قِيلَ الْمُرَاد بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنْ الرِّحْلَة فِي الشِّتَاء إِلَى الْيَمَن وَفِي الصَّيْف إِلَى الشَّام فِي الْمَتَاجِر وَغَيْر ذَلِكَ".(تفسيره: ٤/ ٥٥٣)

(٣) رواه أبو داود(٣/ ٢٤٦) والنسائي(٥/ ٥٤) بأسانيد صحيحة على شرط البخاري ومسلم من رواية ابن عمر رضي الله عنهما(عون المعبود:٩/ ١٣٦)، ورواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد: ٤/ ٧٨)

(٤) متفق عليه(البخاري: ١/ ٥٥) ومسلم(٤/ ١٩٣٩)

واستمرت الآيات المدنية أيضاً تذكر التجارة وتضيف إليها بعض الضوابط، كتحريم التطفيف في الكيل والميزان كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ (المطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك.[1] وورد تحريم الربا في آيات سورتي البقرة وآل عمران المدنيتين، وجاء التحذير من الانشغال بالتجارة عن الصلاة والعبادة في سور التوبة والنور والجمعة المدنية.

وسأورد في هذا المبحث بعض آيات التجارة، لا على سبيل الاستقصاء، لأن المقصود بهذا المبحث ذكر أنواع الوظائف المذكورة في القرآن الكريم وأمثلة لها، لبيان أن القرآن الكريم تعرض لهذه الأنواع.

التجارة في القرآن الكريم:

أولاً: ذكر التجارة عموماً: ذكر القرآن الكريم التجارة عموماً في بعض الآيات كقوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (النساء)، وهي تشير إلى إباحة التجارة، قال ابن كثير رحمه الله:" قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ قرئ تجارة بالرفع وبالنصب، وهو استثناء منقطع، كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجرة المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال."[2]

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الجمعة)، وهي تتضمن فائدتين في التجارة:

---

(١) أخرجه النسائي (الكبرى:٦/ ٥٠٨) وابن ماجة(٢/ ٧٤٨) وابن حبان(صحيحه:١١/ ٢٨٦) بسندٍ صحيح(فتح الباري: ٨/ ٦٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٩)

الفائدة الأولى: أن التجارة تلهي بعض الناس عن ذكر الله والفرائض، وهذا ملحوظ في حق من يعطي التجارة أكبر اهتمام وأولوية وينسى أن التجارة وسيلة لا غاية، ولذا جعل الله تعالى من صفات المؤمنين عدم انشغالهم بالتجارة عن ذكر الله سبحانه: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (النور٣٧) ، ونهى الله تعالى المسلمين عن مباشرة البيع والتلهي به عن صلاة الجمعة بعد النداء في قوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ لئلا ينشغلوا بالدنيا عما فرضه الله عليهم من العبادة، وقال النبي ﷺ(من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له)[(١)] ،

والفائدة الثانية من الآية: أن ما عند الله تعالى من الثواب خير من الاشتغال بالتجارة.

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة)، وفيه تحذيرٌ للمؤمنين أن تكون التجارة أحب إليهم من الله ورسوله،

وقوله عزوجل: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ

(١) رواه أحمد(٥/ ١٨٣)والدارمي(١/ ٨٦) والطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال الهيثمي: رجاله وثقوا.(مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٤٧)

﴿١٩٨﴾ (البقرة) و سبب النزول أوضح أن المراد بهذا الفضل هو التجارة، فيما رواه البخاري عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج.[1]

ثانياً: أنواع التجارة في القرآن الكريم:

أفضل أنواع التجارة هي التجارة مع الله تعالى بعمل الصالحات، قال الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الصف)، فيستثير الله تعالى المؤمنين أن تتطلع نفوسهم لمعرفة هذه التجارة التي سيذكرها الله، وكأن لسان حالهم يقول: ما هذه التجارة التي تنجي من العذاب الأليم؟ فنحن لا نعرف إلا التجارة التي تنجي من الفقر. فيأتي الجواب بعدها مباشرة: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ (الصف) فهذه خير تجارة.

وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (التوبة) فسمى الله تعالى الجهاد في سبيله صفقة تتضمن بيعاً وشراءً، فهي تجارة مع الله سبحانه. فطوبى لمن اتجر مع الله.

وقد ذكر القرآن الكريم أنواعاً من التجارة، ويبلغ عدد الآيات المتحدثة عنها نحو خمسين آية [2]، منها:

---

(١) صحيح البخاري(٤/ ١٦٤٢)

(٢) الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم لمحمد مصطفى محمد (صفحة ٤٠٩ وما بعدها)

السلف: في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقرة)

وتسمى آية الدَّين، وهي أطول آية في القرآن الكريم، وقد فصَّل القرآن أحكام الدين فيها حفاظاً على الحقوق؛ لأن أكثر ما يضيع من أموال الناس في الدُّيون والقروض، إما بعدم التوثيق، أو بعدم السداد، أو بأكل أموال الناس بالباطل.

والإجارة: في قوله سبحانه في قصة موسى عليه السلام مع الخضر: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الكهف)

وقوله عز وجل في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾

(القصص) فالأجرة في الآية الأولى على السقيا، والأجرة في الآية الثانية على الخدمة.

وقوله سبحانه في المطلقات: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (الطلاق) فالمطلقة إن أرضعت وليدها استحقت أجرة الرضاعة[1].

والكفالة والضمان: في قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ (يوسف) قال القرطبي رحمه الله[2]:"الزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء." [3]

أما قوله عز وجل: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (آل عمران٣٧) فليست من الكفالة التجارية، بل هي الكفالة بمعنى الرعاية، قال القرطبي رحمه الله:" أَيْ ضَمَّهَا إِلَيْهِ. وقال أَبُو عُبَيْدَةَ[4] : ضَمِنَ الْقِيَام بِهَا. وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ "وَكَفَّلَهَا " بِالتَّشْدِيدِ[5] ، فَهُوَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ؛ وَالتَّقْدِير وَكَفَّلَهَا رَبّهَا زَكَرِيَّا، أَيْ أَلْزَمَهُ كَفَالَتهَا وَقَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَيَسَّرَهُ لَهُ .. وَخَفَّفَهُ الْبَاقُونَ عَلَى إِسْنَاد الْفِعْل إِلَى زَكَرِيَّا[6] . فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى كَفَالَتهَا وَالْقِيَام بِهَا؛ بِدَلَالَةِ قَوْله: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ (آل عمران٤٤)" [7]،

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٩)

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، ولد سنة ٦٠٠هـ تقريباً، تبحر في جميع الفنون الشرعية، وصنف مصنفات مجوَّدة منها: الجامع لأحكام القرآن والتذكرة والأسنى في شرح الأسماء الحسنى، توفي بمصر سنة ٦٧١هـ.(طبقات المفسرين للداودي:٢/ ٧٠، والقرطبي لمشهور حسن)

(٣) تفسير القرطبي(٩/ ٢٣١)

(٤) معمر بن المثنى التيمي، ولد سننة ١١٠هـ، من أئمة العلم في لسان العرب، له مصنفات كثيرة منها: مجاز القرآن وغريب الحديث، توفي سنة ٢٠٩هـ.(سير أعلام النبلاء:٩/ ٤٤٥، والأعلام للزركلي:٧/ ٢٧٢)

(٥) انظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني(٨٧)

(٦) انظر حجة القراءات لابن زنجلة(١٦١)

(٧) تفسير القرطبي(٤/ ٧٠)

وفي معنى هذه الآية في الكفالة والرعاية قوله سبحانه: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (القصص)،

وكذا قوله سبحانه: ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (ص٢٣) ليس في الكفالة، قال القرطبي:" (أكفلنيها) أَيِ انْزِلْ لِي عَنْهَا حَتَّى أَكْفُلَهَا . وَقَالَ ابْن عَبَّاس: أَعْطِنِيهَا. وَعَنْهُ : تَحَوَّلْ لِي عَنْهَا. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَة [١]: ضُمَّهَا إِلَيَّ حَتَّى أَكْفُلَهَا. وَقَالَ ابْن كَيْسَان[٢]: اجْعَلْهَا كِفْلِي وَنَصِيبِي[٣]."[٤] وهذا يدل على استعمال الكفالة بمعنى التنازل.

والشركة: في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (ص٢٤) فهما شركاء في النِّعاج في قول بعض أهل العلم، وخالفهم القرطبي رحمه الله فقال:" إِطْلَاق الْخُلَطَاء عَلَى الشُّرَكَاء فِيهِ بُعْدٌ ، وَقَد اخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي صِفَة الْخُلَطَاء؛ فَقَالَ أَكْثَر الْعُلَمَاء : هُوَ أَنْ يَأْتِي كُلّ وَاحِد بِغَنَمِهِ فَيَجْمَعهُمَا رَاعٍ وَاحِد وَالدَّلْو وَالْمُرَاح [٥]. وَقَالَ طَاوُس[٦]

(١) رُفَيع- بالتصغير - بن مِهران الرِّياحي البصري . الإمام المقرئ الحافظ المفسِّر . أسلم في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . وهو ثقة كثير الحديث. له " التفسير". ولد زمن النبيﷺ ، وتوفي سنة ٩٣ هـ.(الطبقات الكبرى لابن سعد: ٧ / ١١٢- ١١٧ ، وسير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٠٧- ٢١٣، وطبقات المفسرين للداودي : ١ / ١٧٨ ، ١٧٩)

(٢) صالح بن كيسان المدني، مؤدِّب ولد عمر بن عبدالعزيز، تابعي ثقة. توفي بعد سنة ١٤٠هـ.(سير أعلام النبلاء:٥/ ٤٥٤)

(٣) انظر أقوال بعض المفسرين في تفسير الطبري(٢٣/ ١٤٤)

(٤) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٤)

(٥) انظر: المغني(٤/ ٥٣)

(٦) طاوس بن كيسان الفارسي ثم اليمني ، أبو عبدالرحمن . الفقيه القدوة الحافظ المفسِّر تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما. كان إماماً في العبادة والورع والخشية. ولد باليمن سنة ٣٣ هـ وتوفي حاجاً سنة ١٠٦ هـ. (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥ / ٥٣٧- ٥٤٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٥ / ٣٨- ٤٩ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي : ٣٤)

وَعَطَاء[1] : لَا يَكُون الْخُلَطَاء إِلَّا الشُّرَكَاء. وَهَذَا خِلَاف الْخَبَر ؛ وَهُوَ قَوْله ﷺ : (لَا يُجْمَع بَيْن مُفْتَرِق وَلَا يُفَرَّق بَيْن مُجْتَمِع خَشْيَة الصَّدَقَة وَمَا كَانَ مِنْ خَلِيطَيْنِ فَإِنَّهُمَا يَتَرَاجَعَانِ بَيْنهمَا بِالسَّوِيَّةِ)[2] وَرُوِيَ (فَإِنَّهُمَا يَتَرَادَّانِ الْفَضْل)[3] وَلَا مَوْضِع لِتَرَادِّ الْفَضْل بَيْن الشُّرَكَاء." [4] ومراد القرطبي رحمه الله أن الخلطة تختلف عن الشركة فالشركة اشتراك في المال والربح والزكاة، والخلطة تميُّزٌ في المال والربح والزكاة، واختلاطٌ في الرعي أو المكان.

أما قوله عزوجل: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الزمر) فالغرض من ضرب هذا المثل إثبات فضل التوحيد، وأن من يكون عبداً لله تعالى وحده لا يستوي مع من يكون عبداً لعدة آلهة[5]، وهو في الوقت نفسه يتضمن الإشارة إلى حال الخلطاء والشركاء في ملكية عبدٍ واحد وهم مختلفون.

ثالثاً: أحكام التجارة في القرآن الكريم:

أ- وجوب الوفاء بالعقد: كل معاملة مالية أو تجارية تتضمن عقداً متفقاً عليه بين الأطراف سواء أكان شفهياً أم كتابياً، وعلى جميع الأطراف الالتزام بالعقد المتفق عليه؛ لأن المؤمنين عند شروطهم[6]، وهذا ما أكده القرآن الكريم،

---

(١) عطاء ابن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد ، مفتي الحرم المكي . ولد في خلافة عثمان . كان ثقةً عالماً عابداً . ولد في خلافة عثمان سنة ٢٦ هـ ونشأ بمكة وتوفي بها سنة ١١٤ هـ . (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥ / ٤٦٧- ٤٧٠، وسير أعلام النبلاء : ٥ / ٧٨-٨٨)

(٢) هذان حديثان رواهما البخاري في صحيحه(كتاب الزكاة/ باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع، وباب ماكان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية:٢/ ٥٢٦) ، أحدهما(لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة) والآخر(ما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية) وكلاهما عن أبي بكر الصدِّيق في كتاب النبي الذي كتبه في الزكاة.

(٣) ذكره محمد بن الحسن حديثاً(الحجة:١/ ٤٨٧) ولم أجده بهذا اللفظ، وإنما هو من قول الإمام مالك(الموطأ:١/ ٢٦٣)والله أعلم.

(٤) تفسير القرطبي(١٥/ ١٧٩)

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢)

(٦) هذا حديث نبوي، ونصُّه(المؤمنون عند شروطهم) رواه الترمذي (٣/ ٦٣٤) وصححه عن عمرو بن عوف المزني ﷺ، ورواه أبوداود (٣/ ٣٠٤) والحاكم (٢/ ٥٧) وحسَّنه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ.

قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (المائدة١) وهذا أمر وهو يقتضي الوجوب؛ لأن عدم الوفاء بالعقد يسبب الضرر في حق الأطراف المشتركة في العقد، والضرر يزال.

ب- تحريم التعامل بالربا: نظراً لأن بعض المعاملات التجارية يشوبها الربا خصوصاً في هذا العصر الذي أصبح التعامل البنكي فيه هو الغالب في معاملات الأفراد والمؤسسات والدول، والتعامل البنكي يغلب عليه القروض الربوية، لذا يجب على التاجر المسلم أن يحذر من الوقوع في شرَك الربا، لا سيما وقد توعَّد الله صاحب الربا بأشد العقوبة، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ (البقرة) وإذا كان الله تعالى قد حرَّم الربا فإنه قد أباح أكثر المعاملات غير الربوية، وقد نص الفقهاء على أن الأصل في المعاملات الإباحة لا الحظر.[١]

ج- تحريم التطفيف في الكيل والتخسير في الميزان: الكيل وسيلة مستعملة في التجارة بشكل شائع، سواء أفي السلع القليلة، أم الكثيرة، والتطفيف هو: نقص المكيال والميزان[٢]، ويستوي التطفيف في الوزن مع التطفيف في الكيل في التحريم، لاشتراكهما في العلة، قال الله سبحانه: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(المطففين) والآية نزلت بسبب انتشار التطفيف في المدينة وقت قدوم النبي ﷺ إليها، كما تقدم.

وحرم الله سبحانه تخسير الميزان، وهو إنقاص الوزن ظلماً[٣]، قال الله سبحانه ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾

(١) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد البورنو (١٠٩)
(٢) انظر لسان العرب(٩/ ٢٢٢-طفف)
(٣) انظر لسان العرب(٤/ ٢٣٩-خسر)

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ وقال عز وجل ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ (هود) قال قتادة رحمه الله: اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس[١].

د- تحريم الاتجار بالمحرمات: قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ (البقرة) ومنافع الخمر هو في دخلها التجاري، ولكن هذا الدخل محرم لأنه ناتجٌ عن محرَّم، والفرع تابع للأصل[٢]، وهذه المنفعة أو المصلحة الحاصلة من الخمر ملغية شرعاً لأنها تتعارض مع أحكام الشرع، والمصالح إذا تعارضت مع أحكام الشرع تعتبر لاغية[٣].

وإذا كانت الآية حرَّمت الاتجار بالخمر، فهو حكم كل تجارة محرَّمة، قياساً على الخمر، فالاتجار بالأفلام الهابطة، والكتب المنحرفة .. ونحوهما يأخذ الحكم ذاته.

المطلب الثاني: الزراعة:

مدخل: يمتن الله تعالى على عباده بالزروع والثمار، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الأعراف) وقال سبحانه في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ١١٨)

(٢) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد البورنو (٢٠٠)

(٣) المصدر السابق (٨٦)

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم) فالزروع والثمار نعمة تستحق الشكر. وقص الله تعالى علينا قصة من آتاه الله ثمراً وزرعاً ونهراً ولكنه جحد نعمة الله ونسبها لنفسه فكان جزاؤه إتلاف جنتيه وثماره وكل ما يملك، قال سبحانه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ (الكهف)

ويعدّ الله تعالى الزرع آية من آياته تستحق التفكر، قال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (يس) وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الروم)

والزراعة من أوائل الأعمال التي عمل بها الإنسان، حيث ورد أن آدم عليه السلام كان يعمل في الزراعة[1]، وحكم داوود وسليمان عليهما السلام بين مزارع وراع كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأنبياء)

قال ابن كثير:" روى ابن جرير[2] عن ابن مسعود في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) قال: كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله. قال: وما ذاك ؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها. فذلك قوله (ففهمناها سليمان) [3]، وكذا روى العوفي عن ابن عباس[4]. وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثني خليفة عن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب، فقال لهم سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه ،فقال: لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا. فأخبر بذلك داود فدعاه، فقال: كيف تقضي بينهم ؟ قال: أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير(١/ ٩٢) والكامل في التاريخ لابن الأثير(١/ ٣٨)

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، شيخ المفسِّرين ، الإمام المجتهد ، ولد بآمل طبرستان – و طبرستان تسمى مازندران حالياً شمال إيران – ، واستقر ببغداد ، قال عنه الذهبي رحمه الله :" كان ثقةً صادقاً حافظاً رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامةً في التأريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات واللغة وغير ذلك ، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم "، له "جامع البيان" في التفسير، و"تأريخ الأمم والملوك" و"تهذيب الآثار" وغيرها، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ ، ودفن ببغداد .(سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٢٦٧- ٢٨٢ ، وطبقات المفسرين للداودي : ٢ / ١١٠-١١٨ ، والإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي)

(٣) تفسير الطبري(١٧/ ٥١)

(٤) المصدر السابق(نفس الجزء والصفحة)

أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها[١]."[٢]

وكان اقتصاد مصر في زمن يوسف عليه السلام يعتمد على الزراعة كما في رؤيا الملك وتفسير يوسف عليه السلام لها، قال سبحانه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يوسف)

قال ابن كثير:" (تزرعون سبع سنين دأباً) أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين فقال (فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) : أي مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فادخروه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين المُحْل التي تعقب هذه السبع المتواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئاً وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء." [٣]

---

(١) المصدر السابق(١٧/ ٥٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٦)

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠)

وذلك أن الثمار والمنتجات الزراعية من أكثر ما يستطيبه الإنسان من الأطعمة، وكذلك البهائم التي تتغذى بشكل أساسي على الزروع والثمار، وهي بدورها تمنح الإنسان مواد تغذية أساسية.

آيات الزراعة في القرآن الكريم:

ذكر الله تعالى الزراعة من أعمال الأفراد، ومن أعمال الدولة؛ فوردت مهنة الزراعة في القرآن الكريم في قوله سبحانه ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾

(الفتح: ٢٩) قال ابن كثير:" (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) أَيْ فِرَاخَهُ (فَآزَرَهُ) أَيْ شَدَّهُ (فَاسْتَغْلَظَ) أَيْ شَبَّ وَطَالَ (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاع) أَيْ فَكَذَلِكَ أَصْحَاب رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْع" (١)

فالزرَّاع يرعون زرعهم حتى يقوى فيعجبهم، وهذا يحتاج إلى خبرةٍ ودراية بالحرث والزراعة والعناية بهما.

وورد ذكر الزرّاع في قوله سبحانه ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحديد)

والزراعة كوظيفة عامة وردت في سورة يوسف حيث كان اعتماد الدولة على الزراعة، كما بينته رؤيا ملك مصر، وسخَّرت كثيراً من الناس لهذه الوظيفة التابعة للدولة، إضافة إلى أن كثيراً من الناس ذلك الوقت كانوا يعملون في الزراعة.

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/ ٢٠٤)

أحكام مهنة الزراعة في القرآن: وجوب إخراج زكاة الزروع:

يجب على الموظف الذي يعمل في الزراعة أن يخرج زكاة زرعه شكراً لله تعالى ورحمة لعباده، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (البقرة)

وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأنعام)

ولم تحدد الآيات مقدار هذا الحق، ولكن جاءت السنة مفسرة وشارحة له، في قوله ﷺ (فيما سقت السماء والعيون وما كان عثرياً العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر) رواه البخاري[1]

وقصّ الله تعالى علينا قصة أصحاب الجنة الذين لم يخرجوا زكاتها فأتلفها الله عز ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القلم) قال ابن كثير رحمه الله: "ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن. قال سعيد بن جبير: كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء[2]. وقيل: كانوا من أهل

---

(١) صحيح البخاري(٢/ ٥٤٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تفسير الطبري(٢٩/ ٣١)

الحبشة[1] ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمقَ إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا. فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم؛ فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء." [2]

المطلب الثالث: رعي الماشية:

مدخل: الماشية والأنعام بمعنى، وهي: الإبل والبقر والغنم[3]، وقد امتن الله تعالى على عباده بالأنعام في الأكل من لحمها والشرب من لبنها واللبس والأثاث من صوفها ووبرها وجلدها وشعرها والحمل على ظهورها، فقال سبحانه في السورة المسماة بالأنعام: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأنعام) وقال عز وجل: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ (النحل) وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران) وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ

---

(١) تفسير الطبري(٢٩/ ٢٩) رواه عن عكرمة.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٦)

(٣) لسان العرب(١٢/ ٥٨٥-نعم، ١٥/ ٢٨٢-مشى)

إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ (النحل)

وخَلْق الأنعام مجالٌ للتفكر في خلق الله ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النحل) وقال سبحانه: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ (المؤمنون)

ومثل الأنعام كل ماشية يرعاها الإنسان.

الرعي في القرآن الكريم:

مهنة رعي الأنعام صاحبت البشرية من أوائل وقتها، فقد جاء عن النبي ﷺ أن جميع الأنبياء عليهم السلام رعوا الغنم، فقال ﷺ: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)[1] وهذا العموم يشمل جميع الأنبياء، وبذلك فإن آدم عليه السلام - وهو أول الأنبياء - رعى الغنم، واختصاص الله تعالى الأنبياء برعي الأغنام لميزة رعي الأغنام على رعي الأبقار والإبل، وهو أن رعي الغنم يورث السكينة، قال النبي ﷺ: (الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم) [2]

و ذكر الله تعالى رعاية موسى عليه السلام للغنم في قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ** ﴿١٨﴾ ﴾ (طه)

وداوود وسليمان عليهما السلام حكما بين رعاة ومزارعين وقد تقدم، وفي قصة أخرى حكم داوود عليه السلام بين مالكي غنم ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا

(١) رواه البخاري(٢/ ٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه(صحيح البخاري:٣/ ١٢٨٩، ومسلم:١/ ٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه

أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾(ص) قال ابن كثير رحمه الله:" قوله تعالى(ففزع منهم) إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسوَّرا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما، وقوله عز وجل (وعزني في الخطاب) أي: غلبني، يقال: عز يعز إذا قهر وغلب[1]، وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي اختبرناه[2]. وقوله تعالى (وخر راكعاً) أي ساجداً (وأناب) ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك." [3]

أحكام مهنة الرعي:

أ- الإجارة في الرعي: فالراعي قد يكون أجيراً لغيره في رعي مواشيه، وقد ذكر هذا في القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام في قوله سبحانه ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (القصص) والإجارة لها أحكامٌ تفصيلية في كتب الفقه[4]، ومن أحكامها الوفاء بالعقد ، وهو الحكم التالي:

ب- الوفاء بالعقد بين الراعي وصاحب الماشية: فعندما يرعى الإنسان ماشية غيره، ويكون بينهما اتفاقٌ ما يجب الوفاء بهذا الاتفاق والعقد؛ ففي القصة السابقة اتفق موسى عليه السلام مع الرجل الصالح على مدةٍ محددة وعملٍ محدد: ﴿ قَالَ

(١) لسان العرب(٥/ ٣٧٤-عزز)
(٢) رواه الطبري(٢٣/ ١٤٦)
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١)
(٤) انظر: المغني(٨/ ٥-١٤٤)والموسوعة الفقهية(١/ ٢٥٢-٣٠٢)

إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القصص) فوفّى موسى عليه السلام بأتمّ الأجلين.

ج- الحفاظ على الماشية وحسن رعايتها: فإن الله تعالى ذكر عن ابنتي الرجل الصالح أنهما كانتا تذودان غنمها عن الغنم خشية ضياعها، وعفافاً منهما، فقال سبحانه ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص) قال ابن كثير: "(ولمَّا وردماء مَدْين) أَيْ لَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدْيَن وَوَرَدَ مَاءَهَا وَكَانَ لَهَا بِئْر يَرِدهُ رِعَاء الشَّاء (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّة مِنْ النَّاس يَسْقُونَ) أَيْ جَمَاعَة يَسْقُونَ (وَوَجَدَ مِنْ دُونهمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) أَيْ تُكَفْكِفَانِ غَنَمهمَا أَنْ تَرِد مَعَ غَنَم أُولَئِكَ الرِّعَاء لِئَلَّا يُؤْذَيَا "[1]

ومن حسن رعاية الماشية أن تتسع مساحة رعيها، لتأخذ احتياجاتها من مختلف أنواع الأطعمة المناسبة لها، كما قال سبحانه ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (يوسف) فقد طلب إخوة يوسف عليه السلام من أبيهم مشاركة يوسف لهم في الرعي والرتع واللعب، والرتع هو: التوسع في الخصب والمرعى[2]. على قراءة النون من (نرتع ونلعب) [3]

د- سوم الماشية وتتبع الكلأ: فإن سوم الماشية من أهم ما يلزم الراعي فعله لرعاية الماشية وتغذيتها مما خلق الله تعالى، فالكلأ النابت في الأرض رزق من الله تعالى للحيوانات، قال سبحانه ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا

(١) المصدر السابق(٣/ ٣٨٣)

(٢) لسان العرب(٨/ ١١٣-رتع)

(٣) تفسير القرطبي(٩/ ١٣٩)

وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس) ، والأبّ: طعام الحيوان من العشب[١]، وامتنّ الله تعالى علينا بسوم الأنعام؛ فقال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (النحل) والسوم هو: الرعي [٢]، والماشية السائمة هي التي تسوم أكثر العام، وفيها وحدها تجب الزكاة، دون المعلوفة، عند جمهور العلماء[٣].

المطلب الرابع: الحدادة:

مدخل: يمتن الله تعالى على عباده بإنزال الحديد، فقال سبحانه في السورة المسماة بالحديد: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحديد) وذلك أن الحديد يحتاجه الناس في صناعاتهم وبيوتهم وزينتهم وغير ذلك.

وفي التعبير بقوله سبحانه(وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ) معجزة علمية في القرآن الكريم؛ لأنه ثبت علمياً أن عنصر الحديد وافد إلى الأرض من خارجها وليس هو من أصل خلقها، فسبحان الله رب العالمين[٤].

الحدادة في القرآن الكريم:

كان داود عليه السلام يعمل في الحدادة كما قال سبحانه: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الأنبياء) قال القرطبي رحمه الله:" ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

(١) لسان العرب(١/ ٢٠٥-أبب)

(٢) لسان العرب(١٢/ ٣١١-سوم)

(٣) فقه الزكاة للدكتور القرضاوي(١/ ١٧٠)

(٤) انظر موقع الهيئة العالمية لإعجاز القرآن الكريم على الانترنت: http://www.nooran.org

لَّكُمْ ﴾ يعني اتخاذ الدروع بإلانة الحديد له، واللبوس عند العرب السلاح كله؛ درعاً كان أو جوشناً[١] أو سيفاً أو رمحاً[٢]. قال الهذلي[٣] يصف رمحاً:

ومعي لبوسٌ للبئيس كأنه *** روق بجبهة ذي نعاج مجفل[٤]

واللبوس كل ما يلبس، وأنشد ابن السكيت[٥]:

ألبس لكل حالة لبوسها *** إما نعيمها وإما بوسها

وأراد الله تعالى هنا الدرع، وهو بمعنى الملبوس نحو الركوب والحلوب. قال قتادة: أول من صنع الدروع داود[٦]. وإنما كانت صفائح، فهو أول من سردها وحلقها."[٧]

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (سبأ) قال القرطبي رحمه الله:" قال ابن عباس: صار عنده كالشمع[٨]. وقال الحسن[٩]: كالعجين، فكان يعمله من غير نار. وقال السدي[١٠]: كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يصرفه كيف

(١) الجوشن الدرع(مختار الصحاح للرازي: ١٠٤)

(٢) لسان العرب(٦/ ٢٠٣-لبس)

(٣) أبو كبير عامر بن الحليس الهذلي، شاعر فحل من شعراء الحماسة، قيل أدرك الإسلام وأسلم.(الأعلام:٣/ ٢٥٠)

(٤) البئيس: الشجاع(مختار الصحاح: ٣٩، والمعجم الوسيط:١/ ٣٦)، والروق: القرن (المعجم الوسيط:١/ ٣٨٣)

(٥) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكِّيت صاحب "إصلاح المنطق" وغيره من كتب اللغة، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما، أحد أئمة اللغة(وفيات الأعيان لابن خلكان:٦/ ٣٩٥)، والبيت لبيهس الفزاري(لسان العرب:٦/ ٢٠٢)

(٦) رواه الطبري(١٧/ ٥٥)

(٧) تفسير القرطبي(١١/ ٣٢٠)

(٨) روى عنه ابن المنذر:كالعجين.(الدر المنثور:٦/ ٦٧٦)

(٩) الحسن أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، كان سيد التابعين علماً وعملاً، كثير الجهاد إماماً في الزهد، يتكلم بالحكمة، توفي في رجب سنة ١١٠ هـ. (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٧/ ١٥٦- ١٧٧، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣-٥٨٨)

(١٠) السدِّيّ أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسِّر، وثقه الإمام أحمد، وضعّفه ابن معين. وله " التفسير ". سكن الكوفة وتوفي سنة ١٢٧ هـ. (سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٦٤، ٢٦٥، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٠)

شاء، من غير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة[1]. ... مسألة: في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: (إن خير ما أكل المرء من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) "[2]

وممن كان يجيد صنع الحديد وتشكيله وتسبيكه الملك الصالح ذو القرنين الذي ذكر الله تعالى عنه في القرآن الكريم أنه صنع سبيكة حديدية بالنحاس حتى استعصت على يأجوج ومأجوج، فلم يطيقوا لها خرقاً على قوَّتهم، قال الله سبحانه: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف) قال ابن كثير رحمه الله:" (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيد) والزبر جمع زُبْرة وهي القطعة منه، قاله ابن عباس[3] ومجاهد[4] وقتادة[5]. وهي كاللبنة، يقال: كل لبنة زنة قنطار بالدمشقي أو تزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي وضع بعضه على بعض من الأساس، حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً- واختلفوا في مساحة عرضه وطوله على أقوال – (قال انفخوا) أي أجَّج عليه النار حتى صار كله ناراً (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) قال

---

(١) انظر أقوال بعض المفسرين في تفسير الطبري(٢٢/ ٦٦)

(٢) تفسير القرطبي(١٤/ ٢٦٦)، والحديث المذكور أخرجه البخاري(٢/ ٧٣٠)عن المقدام رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري(١٦/ ٢٤)

(٤) مجاهد بن جبر المكي، أبو الأسود. شيخ القراء والمفسِّرين ووارث علم ابن عباس رضي الله عنه. كان فقيهاً ثقة كثير الحديث. له " التفسير ". ولد بمكة المكرمة سنة ٢١ هـ، وتوفي وهو ساجد سنة ١٠٢ هـ، وقيل غير ذلك. (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥ / ٤٦٦، ٤٦٧، وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٤٩-٤٥٧، وطبقات المفسرين للداودي: ٢ / ٣٠٥-٣٠٨)

(٥) قتادة أبو الخطاب ابن دِعامة- بكسر الدال - بن قتادة السدوسي البصري، حافظ العصر، وقدوة المفسِّرين والمحدِّثين، له " التفسير " و" الناسخ والمنسوخ " و" المناسك ". توفي سنة ١١٨ هـ. (الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٩-٢٣١، وسير أعلام النبلاء: ٢٦٩-٢٨٣، وطبقات المفسرين للداودي: ٢ / ٤٧، ٤٨)

ابن عباس[1] ومجاهد وعكرمة[2] والضحاك[3] وقتادة والسدي: هو النحاس[4]، زاد بعضهم المذاب، ويستشهد بقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) ولهذا يشبه بالبرد المحبَّر." [5] ولم ترد في القرآن الكريم أحكام تتعلق بمهنة الحدادة.

المطلب الخامس: النجارة:

النجارة في القرآن الكريم:

صنع نوح عليه السلام الفلك الذي حمل فيه من كلٍّ زوجين اثنين لينجو من الطوفان، كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾(هود) ويبين الله تعالى أن نوحاً عليه السلام استخدم المسامير لتثبيت الألواح الخشبية مع بعضها فقال سبحانه: ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾(القمر) وصناعة نوح عليه السلام لهذه الفلك العظيمة التي صمدت أمام الأمواج العاتية الضخمة تدلّ على حسن صناعته لها وإتقانه لمهنة النجارة.

---

(١) رواه الطبري(١٦/ ٢٦)

(٢) عكرمة البربري ، أبو عبدالله ، العلامة الحافظ المفسِّر مولى ابن عباس رضي الله عنهما. وثقه الإمام أحمد والبخاري وغيرهما. توفي سنة ١٠٥ هـ.(الطبقات الكبرى : ٥/ ٢٨٧- ٢٩٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٥ / ١٢-٣٦ ، وطبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٨٦ ، ٣٨٧)

(٣) الضحاك أبو محمد وقيل أبو القاسم ابن مزاحم الهلالي . من أوعية العلم. كان إماماً في التفسير ووثقه الإمام أحمد وابن معين وغيرهما. له " التفسير " . توفي بخراسان سنة ١٠٢ هـ وقيل غير ذلك . (الطبقات الكبرى : ٦ / ٣٠٠- ٣٠٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٤ / ٥٩٨- ٦٠٠)

(٤) انظر أقوال بعض المفسرين في تفسير الطبري(١٦/ ٢٦)

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٤)

ووردت مهنة النجارة في القرآن الكريم في ذكر صناعة الأقلام من الشجر، في قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (لقمان) أَيْ: وَلَوْ أَنَّ جَمِيع أَشْجَار الْأَرْض جُعِلَتْ أَقْلَامًا وَجُعِلَ الْبَحْر مِدَادًا وَأَمَدَّهُ سَبْعَة أَبْحُر مَعَهُ فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَات اللهَّ الدَّالَّة عَلَى عَظَمَته وَصِفَاته وَجَلَاله لَتَكَسَّرَتْ الْأَقْلَام وَنَفِدَ مَاء الْبَحْر وَلَوْ جَاءَ أَمْثَالهَا مَدَدًا،[1] وهذه الصنعة من عمل النجارين؛ لما تحتاجه من دقّة وتشذيب.

ولم ترد في القرآن الكريم أحكام تتعلق بمهنة النجارة.

المبحث الثاني: الوظائف العامة والحكومية:

-وهي التي يعمل فيها الإنسان في إدارة تابعة للدولة أو مؤسسة كبرى-:

كان داوود عليه السلام ملكاً وقاضياً، وورث سليمان الملك من أبيه، قال الله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (النمل) قال ابن كثير رحمه الله: "(وَوَرِثَ سُلَيْمَان دَاوُد) أَيْ فِي الْمُلْك وَالنُّبُوَّة." [2]

وفي قصتيهما في القرآن الكريم من الفوائد والأحكام مما يتعلق بالوظيفة:

الفائدة الأولى: العدل: حيث أمر الله تعالى داوود عليه السلام بالعدل فقال سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص)

الفائدة الثانية: القوة والكفاءة ودقة المتابعة: في قول الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ٤٥١)

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٥٨)

مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (النمل) ومن قوَّته أنه كان يعاقب المتخلفين عن الأمر في قول الله سبحانه: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (ص)

الفائدة الثالثة: لا يجوز أن تشغل الوظيفة عن ذكر الله؛ لأن الحكم وسيلة لا غاية، قال الله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ) قال ابن كثير رحمه الله:" وَقَدْ كَانَ آلُ دَاوُدَ عَلَيْهِمْ السَّلَام كَذَلِكَ قَائِمِينَ بِشُكْرِ اللهَّ تَعَالَى قَوْلًا وَعَمَلًا؛ قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد اللهَّ بْن أَبِي بَكْر حَدَّثَنَا جَعْفَر يَعْنِي اِبْن سُلَيْمَان عَنْ ثَابِت الْبُنَانِيّ قَالَ: كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَام قَدْ جَزَّأَ عَلَى أَهْله وَوَلَده وَنِسَائِهِ الصَّلَاة فَكَانَ لَا تَأْتِي عَلَيْهِمْ سَاعَة مِنْ اللَّيْل وَالنَّهَار إِلَّا وَإِنْسَان مِنْ آلِ دَاوُدَ قَائِم يُصَلِّي، فَغَمَرَتْهُمْ هَذِهِ الْآيَة (اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيل مِنْ عِبَادِي الشَّكُور)، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُول اللهَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ أَحَبَّ الصَّلَاة إِلَى اللهَّ تَعَالَى صَلَاة دَاوُدَ كَانَ يَنَام نِصْف اللَّيْل وَيَقُوم ثُلُثه وَيَنَام سُدُسه، وَأَحَبّ الصِّيَام إِلَى اللهَّ تَعَالَى صِيَام دَاوُدَ كَانَ يَصُوم يَوْمًا وَيُفْطِر يَوْمًا، وَلَا يَفِرّ إِذَا لَاقَى)[1] "[2]

فلم يشغل الحكم آل داوود عليه السلام عن الشكر، وأكثر الناس لا يشكرون الله تعالى فيشغلهم الحكم وغيره من أعمال الدنيا عن أعمال الآخرة.

ومن الوظائف الحكومية في الدولة وظيفة يوسف عليه السلام حيث عمل وزيراً للخزانة أو التموين أولاً، ثم أصبح رئيساً للحكومة، قال الله تعالى في وزارته للخزانة: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

(١) صحيح البخاري(١/ ٣٨٠) وصحيح مسلم(٢/ ٨١٦) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وجملة (ولا يفر إذا لاقى) عن عبدالله بن عمرو أيضاً في الصحيحين ولكن بسياق آخر (البخاري:٢/ ٦٩٨، ومسلم:٢/ ٨١٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨)

(يوسف) وقال سبحانه في رئاسته للحكومة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (يوسف) وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف)

وقد ورد في هذه القصة القرآنية عدة أحكام وفوائد تتعلق بالوظيفة:

أولها: العدل في قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (يوسف) وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (يوسف)

الثاني: العفو عن الظالم في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يوسف)

الثالث: التواضع في قوله سبحانه: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (يوسف) فلم ينسِه الحكم أباه. وبرُّه بوالديه ودعاؤه الله تعالى أن يتوفَّه مسلماً واعترافه بنعمة الله سبحانه عليه ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف)

الفصل الثاني
الأخلاق الوظيفية في القرآن الكريم

مدخل:
مفهوم الأخلاق:

الخُلُق لغة : في القاموس المحيط "الخلق بالضم وبضمتين السَّجيَّة، والطبع، والمروءة، والدِّين" [١]

واصطلاحاً: صفة مستقرة في النفس ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة[٢].

فالخلق صفة مستقرة لا عارضة ؛ لأن الإنسان قد يتلبس ببعض الصفات غير الثابتة لموقف معيَّن ، كالكرم ، أو الخوف ، أو الغضب ، أو غير ذلك ، في حين أنه إذا رؤي في الأحوال العادية تظهر منه الصفات الحقيقية التي قد تخالف هذه الصفات.وهذه الصفة المستقرة لها آثار سلوكية ، فالسلوك ليس هو الخلق ، بل هو أثره وشكله الظاهر. فسلوك الإنسان وتصرفاته يدلان على خلقه غالباً ، وإنما قلت غالباً لأن الإنسان قد يصدر منه تصرفات في حالات طارئة لا تدل على خلقه، كالغضب والإكراه والتصنع والرياء.

مكانة الأخلاق في الإسلام:

تتضح مكانة الأخلاق في الإسلام في أمور عدَّة:

أولها: كثرة النصوص الواردة فيها في الكتاب والسنة: ففي القرآن الكريم أكثر من (٣٠٠) آية تتحدث عن الفضائل الخلقية [٣]، وفي السنة الشريفة أكثر من ٢٢٠٠ حديث في الفضائل الخلقية[٤].

---

(١) صفحة (١١٣٧)

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني(١ / ١٠) وانظر تعريفات أخرى لابن مسكويه (تهذيب الأخلاق : ٢٥) وجالينوس (تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك للماوردي : ١٠١ – بتحقيق رضوان السيد)

(٣) انظر : تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لابوم بترجمة محمد فؤاد عبدالباقي (صفحة ٣٨٥)

(٤) انظر : كنز العمال للمتقي الهندي (٣/ ٣–٤٤٠)

الثاني: المنزلة العظيمة التي جعلت لها في ميزان الإسلام : حيث جعل النبي ﷺ أعلى درجة في الجنة لمن حسُن خلقه[١]، وبيّن ﷺ أن رسالته جاءت لتكمِّل مكارم الأخلاق ، فقال:(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [٢] وهذا الحصر تأكيد على مكانة الأخلاق في رسالة الإسلام. وبيّن ﷺ أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلُقاً [٣]. وبيّن ﷺ أن أثقل شيء في ميزان الأعمال يوم القيامة الخلق الحسن[٤].

الثالث: الوعيد الشديد لمن ترك شيئاً منها: فقد سمّى النبي ﷺ صاحب الخلق السيء منافقاً في قوله: (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) [٥]. وشهد للمرأة التي تؤذي جيرانها بأنها في النار[٦]. وهذا يدلّ على أن التخلق بالأخلاق الإسلامية ليس نافلة من الفعل ، بل هو واجب إلزامي على كل مسلم ومسلمة.

الرابع: اهتمام علماء الشريعة بها: فقد اهتم علماء الشريعة بالأخلاق منذ العصر الأول الهجري، بتأكيدهم على منزلتها في الإسلام، ثم بعد ذلك بتأليفاتهم حيث دوَّنت كتب السنة الأحاديث التي تتحدث عن الأخلاق الإسلامية، وأولها كتاب الموطأ للإمام مالك رحمه الله[٧] حيث روى عدة أحاديث عن حُسن الخلق.

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٥٣) والترمذي(٤/ ٣٥٨)وحسنه ، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٤٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو في صحيح الأدب المفرد للألباني (١٨- رقم ٢٠٧) ورواه أحمد بلفظ(٢/ ٣٨١) "صالح الأخلاق".

(٣) رواه الترمذي (٣/ ٤٦٦) وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) رواه الترمذي (٤/ ٣٦٢) وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه

(٥) رواه البخاري (١/ ٢١)، ومسلم (١/ ٧٨)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه ابن حبان(١٣/ ٧٦) والحاكم (٤/ ١٨٣) وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) الإمام مالك بن أنس بن مالك الحميري ثم الأصبحي ، أبو عبدالله ، شيخ الإسلام وإمام دار الهجرة . كان آيةً في الحفظ والعلم والفقه والورع ، ولد بذي المروة- قرية بين خيبر وتيماء- سنة ٩٣ هـ وتوفي بالمدينة سنة ١٧٩ هـ ودفن بالبقيع . (سير أعلام النبلاء : ٨ / ٤٨- ١٣٥ ، ومالك لأبي زهرة ، والإمام مالك لعبدالغني الدقر)

المبحث الأول : الأخلاق الوظيفية المحمودة:

الخلق الأول: الأمانة:

الأمانة لغة: ضد الخيانة، وهي من الأمن، لأن الأمين لا يخافه الناس ولا يحذرون التعامل معه[١].

وفي الشرع: خلق يعف به الإنسان عما ليس له به حق، ويؤدي ما عليه من الحقوق[٢].

الأمانة حملٌ عظيم أشفقت منه السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب)

والأمانة الوظيفية تشمل: الأمانة المالية، والأمانة العلمية، والأمانة في أداء العمل، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨) وقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأنفال) بصيغة الجمع يشمل الأمانات كلها.

والأمانة في المال من أعظم الأمانة ؛ لأن المال محبوبٌ للإنسان، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (العاديات) ، وقال عز وجل: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفجر) وهذا الحبّ يغري الإنسان بجمع المال بكل الطرق المشروعة وغيرها، لذا يجب أن يتثبت الإنسان ليتأكد أنه لا يكسب حراماً، قال الله سبحانه: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) وقال عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ (المائدة: ٤)

ومن الأمانة في المال: أداء الحقوق للعمال والموظفين سواء أكان رواتب أم مستحقات أم مكافآت أم بدلات أم غيرها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا

(١) لسان العرب(١٣/ ٢١ – أمن)

(٢) موسوعة نضرة النعيم لمجموعة بإشراف الشيخ د.صالح بن حميد(٣/ ٥٠٩)

تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٨٥) ومن بخس حق العامل فمنعه حقَّه فهو ظالم، فإن أخذه له فهو آكلٌ لأموال الناس، قال عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ (النساء: ٢٩)

ومن الأمانة في المال: عدم اعتداء الموظف والعامل على أموال الدولة أو الشركة أو المؤسسة وأخذ شيء من ممتلكاتها أو استعماله بغير إذن، لأن أموال الدولة يستفيد منها مواطنوها جميعاً لا يحتكرها واحد منهم لنفسه، لأنه سرقة وأكل للأموال بالباطل، وكذا أموال الشركات والمؤسسات محترمة معصومة لا يجوز التعدي عليها، والأدلة القرآنية السابقة تدل على ذلك.

و الأمانة العلمية تتضمن: نشر العلم: حيث ائتمن الله تعالى أهل العلم ليبلغوا العلم للناس ولا يكتمونه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (آل عمران) فمن يتولى وظيفة تعليمية عليه واجب نشر العلم الذي يعلمه بحكم التكليف الشرعي، وبحكم الوظيفة أيضاً.

ونسبة المعلومة: فلا بد من إرجاع المعلومات والنظريات والمقالات لأصحابها، من باب الأمانة العلمية، ومخالفة ذلك تعدّ سرقة أدبية، وهذا مبدأٌ قرآنيّ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف) فنسبوا إلى الله تعالى معلومة لم يأمر بها، وهذا يخالف الأمانة العلمية.

الخلق الثاني: العدل:

العدل لغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور[1].

وفي الشرع: الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً[2].

(١) لسان العرب(١١/ ٤٣٠- عدل)

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٧/ ٢٧٩٢)

العدل من أوجب الواجبات في نظام العمل الإسلامي ، وهو فضيلةٌ متفق عليها بين جميع الشرائع ، قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ (الأعراف: ٢٩) والعدل يلزمه المدير المسلم في تقييمه للموظفين، ويلزمه الموظف في تعامله مع المراجعين بالسوية، ويلزمه الجميع حال الخلاف والشكوى، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة)

وعكس العدل الظلم الذي نهى الله تعالى عنه، وله صور كثيرة في الوظيفة: منها ظلم الموظفين ببخسهم حقوقهم، وظلم العمال بتأخير أجورهم، وظلم المجتهدين بعدم ترقيتهم، وظلم الموظفين بسماع الافتراءات عليهم من أقرانهم دون تثبُّت، ونحو ذلك، وقد قصّ الله تعالى علينا مثلاً يحتذى به في العدل في الوظيفة، في قول الرجل الصالح الذي آجر موسى عليه السلام نفسه عنده، فقال سبحانه ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (القصص)

ومن مجالات العدل في الوظيفة العدل في القضاء؛ فوظيفة القاضي من أخطر القضايا لما يقضى فيها من دماء وأموال وحقوق وحدود، لذا فالقاضي أولى من يُدعى للعدل في وظيفته، قال النبي ﷺ :(القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به،ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) .[1]

وضرب الله تعالى لنا مثلاً للعدل في الحكم في قصة داوود عليه السلام حين قضى بين الرجلين فتسرَّع في الحكم فعلمه الله تعالى القسط في القضاء بقوله

(١) رواه أبوداود(٣/ ٢٩٩)والترمذي(٣/ ٦١٣)وابن ماجه(٢/ ٧٧٦) عن بريدة رضي الله عنه ،وصححه الحاكم، وقال أبوداود: هو أصح شيء في الباب.

سبحانه: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص)

الخلق الثالث : الرقابة الذاتية والرغبة في الرقي والكمال في أداء الوظيفة:

الرقابة الذاتية هي إحساس الموظف والعامل بأنه مكلّف بأداء العمل ومؤتمنٌ عليه ، من غير حاجة إلى مسؤول يذكّره بمسؤليته، والرغبة في الكمال في أداء الوظيفة من صفات الموظف الناجح، كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ قال ابن كثير:" قَدْ دَلَّ الدَّلِيل عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام إِنَّمَا فَعَلَ أَكْمَل الْأَجَلَيْنِ وَأَتَمّهمَا، وَقَالَ الْبُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن شُجَاع عَنْ سَالِم الْأَفْطَس عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيّ مِنْ أَهْل الْحِيرَة أَيّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ فَقُلْت: لَا أَدْرِي حَتَّى أَقْدَم عَلَى حَبْر الْعَرَب فَأَسْأَلهُ. فَقَدِمْت عَلَى اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، فَسَأَلْته، فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرهمَا وَأَطْيَبهمَا، إِنَّ رَسول الله إِذَا قَالَ فَعَلَ (١) ." (٢)

(١) صحيح البخاري(٢/ ٩٥٣)

(٢) تفسير ابن كثير(٣/ ٣٨٦)

فانظر كيف قام موسى عليه السلام بعمله على خير وجه وزاد من عنده في العمل رغبة في الثواب والأجر من الله تعالى بخدمة الرجل الصالح، وكذلك كل موظف يقدم خدمة للدولة والناس فإنه ينال الأجر من الله تعالى فيطلبه بالإتقان في العمل والرغبة في أدائه ليس لأجل دقة المحاسبة ولكن مراقبة لله تعالى.

وسبيلها الأول: مراقبة الله تعالى حيث يشعر الموظف أنه تحت نظر الله تعالى، مطلعٌ عليه في كل أعماله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١) وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ (المجادلة) فإذا اعتقد ذلك أدَّى عمله بحسب ما اتفق عليه دون نقصان. وهو بعد ذلك محاسبٌ على عمله، لا من قبل مدرائه، وإنما من قبل رب الناس، وليس في الدنيا، بل في الآخرة، قال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ (الحجر)

وهذه الرقابة تنمي الولاء والانتماء الوظيفي الذي تفتقده الكثير من الشركات والمؤسسات، لأن إحساس الموظف بأنه رقيب على نفسه وعمله يشعره بالرغبة في إنجاح أعمال المؤسسة، فينمو لديه الانتماء لوظيفته، ومما ينمي الانتماء للوظيفة: إشراك الموظف في القرارات، ومنحه الميزات والمستحقات من غير تأخير، وتواضع المسؤولين، والارتياح النفسي في الوظيفة.

الخلق الرابع: القوة:

ويعبَّر عنها في الأنظمة الإدارية بالكفاءة والجدارة، والمصطلح القرآني هو القوة؛ قال الله سبحانه في سياق قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝٢٦﴾ (القصص) فجعلها القرآن الكريم أول صفة للأجير وقدَّمها على الأمانة بالرغم من أهميتها، والقوة في الوظيفة تختلف من

مجالٍ لآخر، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] حيث قال:"القوة في كل ولايةٍ بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل والقدرة على تنفيذ الأحكام" [2]

وتشمل قوة الموظف الجانبين الجسدي، والمعنوي؛ فالجسدي: في قدرته على القيام بالعمل بأن لا يكون فيه عاهة أو مرض يمنعه من القيام بالعمل، والمعنوي: في القوة العلمية، التي تشمل التمكن في التخصص، واستغلال القدرات والإمكانات، ومتابعة التطوير والتجديد، وقد جمع الله تعالى بين القوَّتين للقائد طالوت الذي قال فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة:٢٤٧) والبسطة في العلم هي القوة العلمية في الحرب وحسن القيادة وغيرها.

الخلق الخامس: حسن المعاملة:

أمر الله تعالى بمعاملة الناس عامةً بالحسنى، فقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، وخصّ الصاحب بالجنب–ومنه الزميل في العمل–بالمعاملة الحسنة في قوله عز وجل: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ (النساء : ٣٦) فالجار ذي القربى: الجار القريب في النسب، والجار الجُنُب: الجار القريب في المنزل، والصاحب بالجَنب: الرفيق في البيت، والعمل، والسفر[3].

(١) أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني ، الإمام الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع علم الزهّاد نادرة العصر ، وله مواقف جهادية مشهورة ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، وهو من مجددي الإسلام . أكثر من التصنيف، وطبع أكثر كتبه ، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨ هـ . (البداية والنهاية : ١٤ / ١٣٥–١٤٠، وطبقات المفسرين للداودي : ١ / ٤٦–٥٠)

(٢) ابن تيمية / السياسة الشرعية (١٩)

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٨٩)

وتتمثَّل حسن المعاملة مع الموظفين في التبسُّم والترحيب وإفشاء السلام، وفي عدم إحراجهم أو إهانتهم، وفي الوفاء بالعقد، ونحو ذلك.

وفي القرآن الكريم مثال على حسن المعاملة مع الموظف في قوله سبحانه يحكي قول الرجل الصالح صاحب العمل لموسى عليه السلام العامل

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ (القصص) فقوله (وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ) فيه ملاطفة للعامل، وتقريب لقلبه، وطمأنة بالرفق به.

وليس هذا مقصوراً على المسلمين فقط ، بل حتى غير المسلمين من زملاء العمل يجب معاملتهم بالحسنى ؛ للعموم في قوله سبحانه: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾

الخلق السادس : التواضع:

التواضع لغة: التذلل، من الوضع ضد الرفع؛ لأن المتواضع يتذلل للحق[1] .

وفي الشرع: إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه[2] .

التواضع فضيلةٌ عظيمة، وهي من صفات المؤمنين، كما حكى الله تعالى عن سليمان عليه السلام عندما رأى نعمة الله عليه في تعليمه كلام الحيوان، فقال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ﴾ (النمل: ٤٠) فلم يفخر على الناس بعلمه. وتتبين أهمية التواضع من تشديد القرآن الكريم على خطورة الكبر وجزاء المتكبرين، قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ ﴾ (الإسراء) وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ١٨ ﴾ (لقمان) وذكر الله تعالى لنا قصص

(١) لسان العرب(٨/ ٣٩٦،٣٩٧ – وضع)

(٢) موسوعة نضرة النعيم(٤/ ١٢٥٦)

المتكبرين عن الحق، والخلق، وكيف كانت عاقبتهم، ومنهم فرعون الذي تكبر عن الحق فكان جزاؤه ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الذاريات) وقارون الذي تكبر على الخلق فكانت نهايته ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص)

فالمسؤول المتواضع يتفقد حاجات زملائه الموظفين ، ويجالسهم ، ويشاركهم في المناسبات ، والموظف يتواضع لزملائه ، وللمراجعين ، فيقدّر حاجاتهم ، ويجتهد في خدمتهم.

المبحث الثاني : الأخلاق الوظيفية المذمومة:

الخلق الأول: الغش:

الغشّ لغةً : في المعجم الوسيط : غشّ صدره : انطوى على الحقد والضغينة ، وغشّ صاحبه : زيّن له غير المصلحة ، وأظهر له غير ما يضمر[1] .ومن مرادفاته: التزوير ، والكذب.

والتزوير : لغةً : زوَّر الكلام : موَّهه وزخرفه ، وزوّر عليه كذا : نسبه إليه كذباً وزوراً[2] .

وفي القانون : تغيير الحقيقة بإحدى الطرق المقررة بالقانون بقصد الغش في محرر صالح للإثبات ويرتب عليه القانون أثراً[3] .

وتعريف الغشّ الاصطلاحي يتفق مع المعنى اللغوي، فهو تزوير الوثائق الرسمية، وخداع المدير أو الموظف أو العامل بالتغيير في خطاباته المقدمة للدائرة، والكذب عليه وعلى الشركة أو المؤسسة في الأعذار أو غيرها. وإذا كان الغشّ يتضمن الكذب والخيانة والخداع؛ فإن تحريمه في القرآن الكريم مركّب ،

(١) (٢ / ٦٥٣)

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٤٠٦)

(٣) أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية للعثيمين(١٦٨)

أما الكذب فتحريمه في آياتٍ كثيرة كقوله سبحانه: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ (البقرة) وقوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١ ﴾ (آل عمران) ، والخيانة تقدم تحريمها، والخداع تحريمه في قوله سبحانه: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ ﴾ (الأنفال)

والله تعالى حرّم غشّ الأعداء فقال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨ ﴾ (الأنفال) فأوجب على المسلمين ألا يغدروا في عهودهم ويغزُّوا العدوّ دون إخبارهم بنقض العهد مسبقاً. قال القرطبي رحمه الله ما ملخَّصه:" ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾: أَيْ غِشًّا وَنَقْضًا لِلْعَهْدِ . ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ وَالْمَعْنَى : وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْم بَيْنك وَبَيْنهمْ عَهْد خِيَانَة فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ الْعَهْد ، أَيْ قُلْ لَهُمْ قَدْ نَبَذْت إِلَيْكُمْ عَهْدكُمْ ، وَأَنَا مُقَاتِلكُمْ ، لِيَعْلَمُوا ذَلِكَ فَيَكُونُوا مَعَك فِي الْعِلْم سَوَاء ، وَلَا تُقَاتِلهُمْ وَبَيْنك وَبَيْنهمْ عَهْد وَهُمْ يَثِقُونَ بِك ، فَيَكُون ذَلِكَ خِيَانَة وَغَدْرًا . ثُمَّ بَيَّنَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨ ﴾."(١)

الخلق الثاني: التسيُّب في الدوام:

تعريفه: لغة: سيَّب الشيء تركه، وسيَّب الناقة تركها تسيب حيث شاءت، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٣ ﴾ (المائدة) (٢)

---

(١) (٨/ ٣٢)

(٢) لسان العرب(١/ ٤٧٨-سيب)

واصطلاحاً: هو عدم الالتزام بالحضورِ والانصرافِ وأداءِ العملِ على الوجه المطلوب في وقت الدوام المتفق عليه بين العامل وصاحب العمل، وهو حرام؛ لأن المؤمنين عند شروطهم، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١) ، وهذا أمر يقتضي الوجوب، فلا يجوز الحضور متأخراً، والانصراف مبكراً دون إذن صاحب العمل، لأنه إضرارٌ بالعمل، والضرر حرام، ولأنه أكلٌ للأموال بالباطل والله تعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ (النساء)

ومن صفات المؤمنين الوفاء بالعهد قال الله سبحانه في صفات المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ ﴾ (الرعد) ومما أمر الله به أن يوصل العقود المباحة ، وقال عز وجل: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء: ٣٤) ، وهذا أمرٌ يقتضي الوجوب، وسيُسأل عنه يوم القيامة، وقال سبحانه في صفات الكافرين:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ﴾ (الرعد) فجعل من ضمن ما استحقوا به العقوبة نقض العهد وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ومما يدخل في الوصل الالتزام بالعقد المباح.

الخلُق الثالث: استغلال الوظيفة لغير مصلحتها:

من الأمور التي تعد استغلالاً للوظيفة في غير ما وضع لها: أخذ الرشوة، وسيأتي الكلام عليها. والاختلاس:كاستيلاء الموظف على الأموال المسلمة إليه بسبب وظيفته، وقيامه بتحصيل أموال غير مستحقة عند جباية الرسوم أو الضرائب أو الغرامات أو العوائد وما أشبه. وقيام الموظف بحجز كل

أو بعض ما يستحقه الموظفون من رواتب أو أجور أو تأخير دفعها إليهم بقصد الانتفاع الشخصي. وقبول الهدايا والإكراميات بالذات أو الواسطة. وإضرار الموظف بالمصلحة العامة في ميدان الصفقات والمقاولات والتوريدات.

والذي يجمع ذلك هو: تسخير الوظيفة لتكون مصلحة شخصية لا مصلحة عامة، ولو كان ذلك بالطرق غير المشروعة. وتحريم هذا الاستغلال صريح في القرآن الكريم؛ لأنه نوعٌ من الغلول والسرقة والتعدي على أموال الآخرين وممتلكاتهم بغير حق، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ (النساء) وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (آل عمران)

الخلُق الرابع: إفشاء الأسرار:

حفظ السرّ فضيلة؛ فقد قال سبحانه في وصية يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ ﴾ (يوسف) فأوصاه بكتم ما رأى واعتباره سراً.

والوظيفة تتضمن الكثير من الأسرار خصوصاً في المناصب العليا، والوظائف العسكرية، والطبية. فالموظف يطلب منه الحفاظ على أسرار الوظيفة لأنه نوعٌ من الأمانة، وقد قال الله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص) فخير الموظفين الأمناء، وقد حذّرنا الله تعالى من إفشاء أسرار الدولة الإسلامية والمسلمين عموماً في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حين أفشى سر رسول الله ﷺ والدولة الإسلامية، فأنزل الله تعالى قوله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ

خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ (الممتحنة) [1]

وفي كشف السر ضرر على من يختص به السرّ، والضرر حرام، وفي كشفه إشاعةٌ للخيانة بين الناس، وعدم احترام الكلمة. وفي كشفه فتحٌ لباب التلصُّص والتجسُّس، والاطلاع على ما لا ينبغي، والتدخُّل فيما لا يعني. وفي كشفه تجرئةٌ على الممنوعات الشرعية.

الخلق الخامس: الرشوة:

أصلها لغةً: من الرشا، وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء[2]، ووجه الشبه بينهما أنها يتوصل بها إلى المقصود ببذل المال.

واصطلاحاً: هي ما يؤخذ من جُعل – وقد يكون الجعل مالاً أو منفعة – عما وجب على الشخص فعله. وقيل: ما يعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل. [3]

و الرشوة محرمةٌ ومن كبائر الذنوب، من وجوه:

الأول: أنها سحتٌ، ومن صفات اليهود، قال الله سبحانه: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ ﴾ (المائدة : ٤٢) وقال ﷺ :(لعن الله الراشي والمرتشي) [4]

والثاني: أنها أكلٌ لأموال الناس بالباطل، قال سبحانه:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (البقرة)

(١) انظر سبب النزول في: أسباب النزول للواحدي بتخريج عصام الحميدان(٤٢٢) وهو في الصحيحين(البخاري:٣/ ١٠٩٥، ومسلم: ٤/ ١٩٤١)

(٢) لسان العرب(١٤/ ٣٢٢–رشا)

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠ / ٤٥٤٢)

(٤) رواه الترمذي (٣/ ٦٢٢) وصححه عن أبي هريرة ﷺ.

والثالث: أنها طريقٌ لتجاوز النظام، وطريقٌ لتعويد الموظفين على عدم تقديم أعمالهم إلا بالرشوة، وبالتالي إفساد ذممهم، وحرمان الكثير من الناس من نيل حقوقهم الطبيعية بالطرق المشروعة، لعدم إمكانهم دفع الرشوة دِيناً أو عجزاً.

والرابع: أنها من أسباب انتشار الضغائن والأحقاد في المجتمع من قبل أولئك الذين يشعرون بالظلم والغبن.

وقبول الهدايا على الأعمال الواجبة نوعٌ من الرشوة بطريق غير مباشر، والقرآن الكريم نبَّه إلى الحذر من الهدايا التي يقصد بها الرشوة في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس حين أرسلت إليه هدية، ولكن سليمان عليه السلام لم يقبل هذه الهدية؛ لأنه يعلم أنها رشوة[1]، قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (النمل) وتغيير الأسماء من هذا النوع عند بعض الناس أسلوبٌ ماكر للالتفاف على النظام، كتسمية الواسطة خدمة، وتسمية الرشوة عمولة أو هدية، وتسمية تطبيق النظام تشدُّد.

والنبي ﷺ وضَّح ما جاء في القرآن الكريم بمثال عمليّ، ففي الصحيحين[2] عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: أنه ﷺ استعمل عاملاً فجاء العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي إليّ. فقال له:" أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا !" فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، ثم قام في الناس خطيباً وحذَّر، حتى قال :(فوالذي نفسي بيده: لا يغلّ أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يحمله على عنقه إن كان بعيراً.. أو بقرة.. أو شاة...)

---

(١) قال القرطبي رحمه الله:" قال سليمان في كتابه(ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين) وهذا لا تقبل فيه فدية، ولا يؤخذ عنه هدية، وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل، وإنما هي رشوة بيع الحق بالباطل، وهي الرشوة التي لا تحل"(١٣/ ١٩٨)

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٤٦) ومسلم (٣/ ١٤٦٣)

الخلق السادس: عدم طاعة أوامر الرؤساء والمدراء وأصحاب الأعمال:

قرر القرآن الكريم وجوب الطاعة لأولي الأمر في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(النساء) وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣) ومدراء الشركات والمؤسسات والدوائر الحكومية هم من أولي الأمر، أما مدراء الدوائر الحكومية فإنهم نوَّابٌ عن الإمام أو الأمير، وأما أصحاب الشركات فهم أصحاب الملك فيها ولهم الأمر، والمدراء فيها نوابٌ عنهم.

وهذه الطاعة مقيَّدة بطاعة الله تعالى؛ لذا نجد في الآية الكريمة الأولى أن الله تعالى أفرد طاعة الله لأنها مستقلة بذاتها، ثم كرر لفظ الطاعة للرسول لأن طاعته مستقلة بذاتها، ثم عطف أولي الأمر عليهما بلا تكرار لفظ الطاعة؛ لأن طاعتهم ليست مستقلة بل مرتبطة بطاعة الله ورسوله. وقد قال ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة)[1]

وطاعة المسؤولين في غير معصية ضرورة وظيفية؛ لأسباب:

الأول: أنها طاعةٌ لله ورسوله، لأن الله أمر بطاعتهم، ومعصيتهم معصيةٌ لله ورسوله.

الثاني: أنها مفتاحٌ لنجاح المؤسسة، فبدونها لا تتحقق الأهداف ولا تنفَّذ الخطط، ويصبح العمل فوضى بكل معنى الكلمة.

الثالث: أنها إغلاقٌ لأبواب التنازع والاختلاف المسبب للفشل.

الرابع: أنها إحسانٌ وتقديرٌ للجماعة لأن الجماعة إنما تسير بأمر المسؤول، فمن أطاعه فقد قدَّر الجماعة واحترمها، وبادلها الإحسان حين خدمها بطاعة مسؤولها.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٢٠٩) وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الخامس: أنها تحقيق للمصلحة العامَّة، وقضاءٌ على المحسوبيات والمصالح الشخصية.

السادس: أنها طريق للنهوض والرقي بالأمة وطريق الكمال والتقدم، لقول الله سبحانه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) وطريق الخيرية هو طلب الكمالين الدنيويّ والأخرويّ.

المبحث الثالث: وسائل التغلب على الممارسات السيئة في الوظيفة:

أولاً: تنمية الرقابة الذاتية:

تنمية الرقابة الذاتية تغني الدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات عن كثيرٍ من الإجراءات الوظيفية، والدورات التطويرية، والنفقات الطائلة، فالموظف الناجح هو الذي يراقب الله تعالى قبل أن يراقبه المسؤول، وهو الذي يراعي المصلحة العامة قبل المصلحة الشخصية، فإذا ترسَّخ هذا المفهوم الكبير في نفس الموظف فستنجح المؤسسة بلا شكّ؛ لأن ولاء الموظفين لها قويّ.

وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة الكثيرة التي تنمي رقابة الله تعالى في نفس المسلم من خلال اعتقاد المسلم باطلاع الله عليه، كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ (آل عمران) وقوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (إبراهيم) ومن خلال اعتقاد المسلم بسعة علم الله تعالى، كقوله سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام)

ثانياً: القدوة الحسنة:

فكثيرٌ من القرارات والأنظمة لا تلقى صدىً عند الموظفين والعمال إلا إذا رأوها واقعاً في المسؤول والمدير الذي يشرف على تنفيذها، أما إذا رأى الموظفون رئيسهم غير ملتزم بهذه القرارات والأنظمة لسببٍ أو آخر فلن يكون لهذه الأنظمة أية أهمية.

والقرآن الكريم أكّد على أهمية القدوة في قوله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب) وقوله عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ (الممتحنة) وقوله سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام)

ثالثاً: محاسبة المسؤولين، والموظفين:

فالمحاسبة جزءٌ مهم من العملية الإدارية، لأن كثيراً من المدراء والموظفين الذين يفتقدون الرقابة الذاتية أو تضعف عندهم لا يرتدعون عن تقصيرهم ومخالفاتهم إلا بالمحاسبة والمعاقبة، والقرآن الكريم قرر هذا المبدأ الوظيفي في قوله سبحانه في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (النمل)

الفصل الثالث
شروط الوظيفة في القرآن

الشرط الأول: أن تكون مباحة؛ لقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة: ١٧٢) وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (البقرة) وهما تدلان على طلب أكل الحلال، وسبيله الوظيفة.

وكذلك قوله سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة) يدل على أن الابتغاء من فضل الله بطلب الرزق مرتبط بذكر الله تعالى المؤدي للفلاح، ولا يجتمع الفلاح مع طلب الرزق بالحرام.

وهذا الشرط يشمل جميع الوظائف سواء أكانت تجارية أم زراعية أم صناعية أم إدارية أم تقنية، فالوظيفة وسيلة لكسب الرزق الذي أمر الله تعالى به، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء، بل يأمر بالمعروف، فإذا تعارضت مصلحة الوظيفة المادية مع أمر الله تعالى أُلغيت مصلحتها، وتقدم بيان ذلك في الاتجار بالخمر ونحوه.

وقد لا يكون المسلم متجراً بالحرام، ولكنه موظف في إدارة أو شركة تصنِّع الحرام، أو تتاجر بالحرام، أو تزرع المحرَّم، فلا ينبغي أن يلتبس عليه الحكم، بل يعرف أن تقديم أية خدمة أو سعي أو عمل لهذه الشركة المتجرة أو المصنعة للحرام، حكمه حكم القائمين على هذه الشركة؛ لقوله ﷺ :(لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) وقال (هم سواء)[1]، فلعن كل من سعى في الربا، وقال ﷺ :(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) [2] فكل هؤلاء ملعونون وإن لم يشربوا الخمر؛ لأنهم ساعدوا في تصنيعه وترويجه.

(١) رواه مسلم(٣/ ١٢١٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه(٢/ ١١٢١)وأحمد(٢/ ٩٧)عن ابن عمر رضي الله عنه وزادا (وآكل ثمنها) وأخرجه الضياء في المختارة(٦/ ١٨٢)عن أنس رضي الله عنه وحسّنه.

الشرط الثاني: الوفاء بالعقد: لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ (المائدة) والعقد إذا كان مباحاً وجب الالتزام به، لأن ما اتفق عليه المتعاقدان صار ملزماً، لقوله ﷺ :(البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا)[1]

فيجب على الطرفين المتعاقدين الالتزام بالعقد، سواء أكان ذلك بين الدولة والموظفين فيها، أم بين الشركة وعمالها، لأن الإخلال بالعقد ضرر للطرفين. وضرب الله تعالى لنا مثلاً لعقدٍ بين موسى عليه السلام والشيخ الصالح على أن يزوِّج الرجل الصالح ابنته لموسى عليه السلام مقابل أن يعمل له موسى عليه السلام ثماني سنين أو عشراً، فقال سبحانه:

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ﴾(القصص) والتزم كلٌّ منهما بما وعد به.

الشرط الثالث: أن يعطى الأجير أجره تاماً حسب الاتفاق: لقوله سبحانه في قصة موسى مع المرأتين والشيخ الكبير: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا ﴾ (القصص:٢٥)، وقال تعالى عن موسى والخضر: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴾ (الكهف: ٧٧) وفي هاتين الآيتين مشروعية طلب الأجرة وأخذها وإن لم يكن هناك اتفاق.

(١) متفق عليه (البخاري:٢/ ٧٣٢، ومسلم:٣/ ١١٦٤) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لمقومات الوظيفة وأخلاقياتها في القرآن الكريم أرى من المناسب أن أضع بعض المقترحات التي تساعد في ربط الوظيفة بالقرآن الكريم في المجتمعات الإسلامية والعربية: فالتربية الإسلامية لها أكبر الأثر في تنشئة الأبناء على حبّ القرآن الكريم، وبالتالي يحرص الجيل المسلم على العيش بالقرآن في مدرسته وبيئته ووظيفته وأسرته، كما كان خلق النبي ﷺ هو القرآن. فأقترح أن يهتم أولياء الأمور بتحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم، وتدارسه في الأسرة بشكل مستمر.

ودور الحكومات والمؤسسات والشركات أساس في وضع الأنظمة والقوانين والأحكام التي تلتزم بمنهج القرآن الكريم، وإبراز هذه الأنظمة بأدلتها الشرعية للموظفين والإداريين، ورفع شعار ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ في رأس كل عقد، وشعار ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ في رأس كل تجارة. فأقترح أن تقوم وزارات العمل بمراجعة أنظمتها وقوانينها لتكون متوافقة مع القرآن الكريم، وتقوم بعمل الدورات التي توعي الموظفين بأخلاق الوظيفة، ويكون حضورها إلزامياً لجميع الموظفين، وتقوم بتبني مشروع أخلاق الوظيفة في جميع أنشطتها.

ودور الجامعات والمعاهد الإدارية المتخصصة أساس في تأصيل وتفصيل الدراسات التي تعنى بجانب الوظيفة في القرآن الكريم والفقه الإسلامي، ووضع المقررات الجامعية التي تهيِّئ الطالب الجامعي للدخول إلى عالم الوظيفة وهو متسلِّح بالعلم الشرعي المتعلق بالوظيفة. فأقترح أن يكون مقرر أخلاق الوظيفة إلزامياً لجميع الطلاب في الجامعات.

ودور وسائل الإعلام مهم في توعية المسلمين بهذا الجانب، ووزارات الإعلام عليها دور في توعية الإعلاميين وحث دور الصحافة على تسليط الضوء على أخلاق الوظيفة ومقوماتها في الإسلام، وكذلك وزارات الأوقاف من خلال خطب الجمعة وغيرها. فأقترح أن تنسِّق وزارات الإعلام مع الجامعات والمعاهد والباحثين ليمدُّوهم بالمادة العلمية اللازمة لتكون مادة إعلامية على مدار العام، تناقش في كل مرة قضية جديدة تتعلق بمقومات الوظيفة وأخلاقها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المصادر والمراجع

١. الأخلاق الإسلامية وأسسها / عبدالرحمن حسن حبنكة – دار القلم–ط الثانية ١٤٠٧هـ.
٢. أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية– فهد بن سعود العثيمين–ط الثانية ١٤١٤هـ– مؤسسة الرسالة.
٣. أخلاقيات المهنة/ محمد عبدالغني المصري –مكتبة الرسالة الحديثة– ط الأولى ١٤٠٧هـ
٤. أسباب النزول للواحدي بتخريج عصام الحميدان– دار الإصلاح بالدمام– ط الأولى ١٤١١هـ.
٥. تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)– دار الفكر –بلا تاريخ
٦. تفسير الطبري المعروف بجامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)– دار الفكر– ١٤٠٥هـ
٧. تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لابوم مع مستدركه لمحمد فؤاد عبدالباقي – دار الكتاب العربي–بلا تاريخ.
٨. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك للماوردي : بتحقيق رضوان السيد –دار العلوم العربية–ط الأولى، ١٩٨٧م.
٩. تهذيب الأخلاق لابن مسكويه(ت٤٢١هـ)–دار الكتب العلمية–ط الأولى ١٤٠٥هـ
١٠. التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)– تصحيح أوتو برتزل– دار الكتاب العربي–ط الثانية ١٤٠٤هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ) بتصحيح هشام البخاري–١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب.
١٢. حجة القراءات لأبي زرعة عبدالرحمن بن زنجلة– تحقيق سعيد الأفغاني– مؤسسة الرسالة– ط الثانية ١٣٩٩هـ.
١٣. الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية– د. بكر القباني– معهد الإدارة العامة بالرياض –١٤٠٢هـ
١٤. الدر المنثور للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)–دار الفكر– ١٩٩٣م.

١٥. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)-تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي- دار الفكر-بلا تاريخ.
١٦. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)-تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد- دار الفكر-بلا تاريخ
١٧. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت٢٧٩هـ)-تحقيق أحمد شاكر وآخرون-دار إحياء التراث-بلا تاريخ
١٨. سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي(ت٢٥٥هـ)-تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي- ط الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
١٩. السنن الكبرى للبيهقي وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين بن علي المارديني ابن التركماني (ت ٧٤٥ هـ)- دار المعرفة -بلا تاريخ
٢٠. سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ)-تحقيق عبدالفتاح أبو غدة- ط الثانية ١٤٠٦هـ- مكتب المطبوعات بحلب
٢١. السياسة الشرعية لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)- نشر الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- ط الأولى ١٤١٢ هـ .
٢٢. صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)-تحقيق شعيب الأرناؤط- ط الثانية ١٤١٤هـ-مؤسسة الرسالة
٢٣. صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)-تحقيق د.مصطفى ديب البغا- ط الثالثة - ١٤٠٧هـ-دار ابن كثير
٢٤. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري(ت٢٦١هـ)- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي- دار إحياء التراث- بلا تأريخ
٢٥. عون المعبود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي- ط الثانية ١٩٩٥م- دار الكتب العلمية
٢٦. فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)-تحقيق محب الدين الخطيب-دار المعرفة-بلا تاريخ
٢٧. فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي-ط الأولى ١٣٥٦هـ- المكتبة التجارية
٢٨. الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني(ت١٨٩هـ)- بتحقيق د. سهيل زكار-ط الأولى١٤٠٠هـ-نشر عبدالهادي حرصوني
٢٩. كسب الموظفين وأثره في سلوكهم/ صالح محمد فهد المزيد-بلا ناشر ولا تاريخ

٣٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)- تصحيح صفوت السقا وتفسير بكري حياني- مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ

٣١. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بلا تاريخ

٣٢. مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي(ت٨٠٧هـ)-دار الريان للتراث - ١٤٠٧هـ

٣٣. المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)- تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا-ط الأولى١٤١١هـ- دار الكتب العلمية

٣٤. مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)-مؤسسة قرطبة- بلا تاريخ

٣٥. معجم الطبراني الكبير لأبي القاسم الطبراني-تحقيق حمدي السلفي- ط الثانية ١٤٠٤هـ-مكتبة العلوم والحكم

٣٦. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-إعداد مجموعة بإشراف صالح بن عبدالله بن حميد- ط الثانية ١٤١٩هـ- دار الوسيلة

٣٧. مبادئ الخدمة المدنية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية- عبدالله راشد السنيدي-بلا ناشر ولا تاريخ

٣٨. المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية- نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر-بلا تاريخ

٣٩. معجم المصطلحات الإدارية/ د.محمد البرعي ود.محمد التويجري -مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

٤٠. المغني لابن قدامة المقدسي(ت ٦٢٠هـ) بتحقيق الدكتورين عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو -دار هجر- ط الأولى- ١٤٠٦هـ

٤١. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد صدقي البورنو- مؤسسة الرسالة- ط الأولى ١٤٠٤ هـ .

٤٢. الوظيفة العامة وإدارة شؤون الموظفين - فوزي حبيش- نشر المنظمة العربية للعلوم الإدارية – بلا تاريخ